تمهيد

السلام وحق المواطن!

الحوار الذى دخلت ـ بهذا الكتاب ـ دوائره المختلفة، بحكم الطبيعة والضرورة، بل وبحكم التعريف، لا يكتفى بمناقشة أوضاع تأسست سلفاً، وأخذت شكلها، وإنما يسهم فى بلورة أوضاع جديدة وتحقيق استقرارها، والمعاونة على الخروج بها من حالة السيولة التى تعانى منها وهى قيد التشكيل، أو هو يسعى إلى تحقيق دور الحوار السياسى والمهنى فى التنبيه لمخاطر المستقبل، بأكثر من التفسير لعناصر الماضى.

ومن هذه الزاوية الحاكمة جداً تترى دوائر وحلقات النقاش حول موضوع السلام أو حول الآليات والإشكاليات التى سادت عملية الانتقال من حال الحرب إلى حال السلام فى هذا الكتاب.

وواحد من أخطر الأخطار ـ فى الواقع ـ يكمن فى النظر إلى هذه المجموعة من الحوارات الجماعية منزوعة من سياقها الزمنى، معلقة فى الفراغ.

إذ أن طبيعة هذه الحوارات ـ بالدرجة الأولى ـ تكمن فى أنها أقرب إلى ما يسمى Brain Storming أو إعمال النقاش العقلى حول قضايا مثارة، أو التنبؤ بالأشكال التى ستأخذها القضايا محل النقاش فى المستقبل، وبشكل يُمكن الأطراف المشاركة فى الحوار من اختبار مقولاتها الفكرية، على بعضها البعض، مستغلين التوازن النسبى فى تمثيل الإتجاهات الفكرية والسياسية المختلفة، الذى حرصت على تحقيقه فى دوائر الحوار هذه، ومستغلين ارتفاع ممثلى كل تيار بما يجعل عمليات الإختبار هذه ذات مردود حقيقى ومهم.

كما أن طبيعة هذه الحوارات ـ كذلك ـ تجعل منها محاولة مستمرة لإشراك القارىء (المواطن.. الإنسان العربى) فى ساحة موضوعات طال إستبعاده من ساحتها، وللإحتفاظ له بحقه فى أن يرفض على أساس، وأن يقاطع على معرفة، فضلاً عن القبول (إذا كان ثمة قبول)، وأن يكون طرفاً ـ بشكل ما ـ فى تشكيل المستقبل بالمعلومية وكسر احتكار المعرفة ـ أولاً ـ ثم بتوظيف هذه المعرفة لخدمة قواعد الأمن القومى (مصرياً وعربياً).

وبالنظر إلى المحتوى المطروح بين دفتى هذا الكتاب سنجد أن موضوع السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط، ثم موضوع السوق الشرق أوسطية، ثم موضوع التطبيع على مستوى الشعوب أو مستوى الدول، ثم موضوع اتفاق غزة ـ أريحا أولاً، قد تم إثارتها أمام الرأى العام من زوايا غير تقليدية، وشديدة الاختلاف عن الطرح الحكومى، الذى تفترض بعض المطبوعات وبعض الكتابات قبوله وكأنه (تعليمة) أو (تعميم)، كما أنه شديد الاختلاف عن الطرح الحزبى المعارض الذى يعتصم أصحابه بقدسية النصوص والمرجعيات الماضوية، أو يعتقدون ـ خطأ ومغالطة ـ باحتكارهم للمعرفة التى لا يأتيها الباطل من بين يديها أو من خلفها.

كنا نناقش.. وكنا نختبر مقولاتنا الفكرية والسياسية.. وكنا نحترم مخالفينا، ولا نقبل أن تمس وطنية أحدهم بحرف واحد، بل وكنا ننهى كل حلقة من حلقات النقاش هذه بالإتفاق على موضوع جديد يستحق أن نعمل فكرنا فيه، وأن نسعى من خلاله إلى ابتكار واستنباط البناءات العقلية والسياسية التجديدية، التى تمثل الرد المصرى غير التقليدى (بكل الجدائل التى تشكل ضفيرته.. بكل العناصر التى تنصهر فى سبيكته) على التحدى الأجنبى غير التقليدى الذى نواجهه فى منطقتنا.

وفوق هذا فإننا ـ للضبط وللتدقيق ـ كنا نسمح بنشر ردود على كل ما ورد فى حلقات النقاش هذه مهما كانت درجة مخالفتها وقد زينت هذه الردود صفحات هذا الكتاب وطبعتها بعلاقة ليبرالية الحوار وديمقراطيته.. وهى القيمة المتصورة لأى حوار وطنى فكرى كبير.

. . . . . .

لقد تنبأت آراء الكثيرين من المشاركين فى حلقات النقاش هذه ببعض مما جرى على ساحة التسوية مع اسرائيل، ورصدت آراء الكثيرين من المشاركين فى حلقات النقاش هذه تحولات إقليمية هامة، وقت أن كانت نطفاً جنينية معملية، قيد التحقق والتخلق، وتنبأت بظهورها، كما تنبأت بشكلها.

وشكلت آراء المشاركين فى حلقات النقاش هذه، خريطة دقيقة للعناصر الفكرية التى تحكم منطق القابلين بالتسوية السلامية، مع التحفظ بشأن شروط التوافق، وللعناصر الفكرية التى تحكم منطق الرافضين للتسوية السلامية، مع التحفظ بشأن شروط التضاد، وأخيرا ـ للعناصر الفكرية التى تحكم منطق الرافضين للتسوية السلامية من دون قيد أو شرط، وبدون تحفظات أو تداركات.

وقدم الجميع فى إطار حلقات النقاش هذه صورة فريدة للرد المصرى غير التقليدى (بكل الجدائل التى تشكل ضفيرته . . بكل العناصر التى تنصهر فى سبيكته) على التحدى الأجنبى غير التقليدى الذى نواجهه فى منطقتنا.